عيوب الأصوات الأعجمية المشروعة والمرذولة

حينما يتصفّح الباحث باب "الإدغام" في كتاب سيبويه، فسوف يجدّ حديثًا عن اثنين وأربعين صوتًا (حرفًا) تُسمع في عربية العربَ عصْرئذ، منها التسعة والعشرون صوتًا الأساسية، والمشّكلة للنظام الألفبائي الكتابي، والمعروفة بحروف الهجاء (أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ، ع، غ، ف، ق، ك، ل، م، ن، ه، و، ي، ا.) وليست هذه موضع الانتباه في مقام البحث الماثل ههنا. وثمة ستة أصوات أخَذت مشروعية وقبولية لدى سيبويه والقُرّاء جميعهم، إذ يُؤخَذ بها، وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار، علًما بأن بعضها لا رموز إملائية لها، في الألفبائية العربية، وجميعها لا تعدو كونها تنوّعات نطقية فرعية؛ أي (ألوفونات)، وليست ذات قيمة وظيفية تمييزية، تنتقل أو تتبّدل بها دلالات الصّيغ الصّرفية، وهي:

أ- الأصوات المشروعة:

- **النون الخيشومية**(نون الإخفاء): فرع على النّون اللثوية، وتتحقّق بإضعاف صفة الغّنة فيها عندما تردّ ساكنة مع غير حروف الإظهار؛ كهو في قراءة نون (الإنسان)، في (إن الإنسان لفيُ خسر) [العصر/2].

- **الهمزة المُسَهَّلَة:** همزة بين بين فرع على الهمزة المنبورة، وتسهيل الهمزة حرف مألوف في لهجة الحجاز خاصة، كقراءة (الذيب) عند الكسائي في (لئن أكله الذيب) [يوسف: 14]. وقراءة (أنبئهم بأسمائهم) [المعارج: 19] بتسهيل الهمزة [أنبيهم].

- **الألف الممالة، وألف التفخيم:** كلاهما فرع على رسم الألف المنتصبة، فتنطق بإمالة شديدة نحو الكسر، بلهجة نجد لدى تميم وقيس وأسد؛ بنحو في قراءة (ضحاها) في (والشمس وضحاها) [الشمس/1]، وأّما ألف التفخيم، فهي كذلك إمالة، ولكنها نحو الضم، بلغة أهل الحجاز في قراءة (الصلاة والزكاة) (وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) [البقرة: 277].

- **صاد كالزاي:** وهي زاي نصف مفخمة، تتحوّل إليها الصّاد (ص ز) بإضعاف صفة التفخيم فيها، واشمامها الجهر، بنحوه في نطق (أصدق) التي تُقَرأ (أزدق)، وهي قراءة في (ومن أصدق من الله حديثا)[النساء/27]، ومنه قولهم: "لم يُحرمْ من فُزِد له"؛ أي (فُصِد).

- **شين كالجيم:** وهي شين مهموسة، تتحوّل إليها الجيم (ج ش) بإضعاف صفتيْ الشّدة والجهر فيها، بنحوه في الجيم الساكنة، إذا وليها صوت شديد، فتُنطُق (أجدر أشدر)، وهي قراءة في (وأجدر ألاّ يعلموا حدود ما أنزل الله) [التوبة/97].

– **اللام المفخمة:** فرع على اللام المرققة في لفظ الجلالة، بعد فتح أو ضم.

ب- الأصوات الأعجمية المرذولَة:

أما بضعة الأصوات السبعة الباقية، فهي مستقبحة وغير مستحسنة في جري الكلام، وقد تقاطب الرفض لها منذ سيبويه فصاعًدا، ونُعِتَتْ بـ: المذمومة، والمرذولة، وغير الفصيحة، ولا تصحّ بها قراءة القرآن، ولا رواية شعر ولا نثر. وما تزال كذلك دونية، ويتحاشاها الدرس والتدريس في جامعات عربية كثيرة؛ ولو لأغراض البحث العلمي، بحجة الخوف منها على الفصحى؛ مع أن الثنائية أو الازدواجية بينها وبين الفصحى كانت ولم تزل لليوم (فصحى ولهجة)، وهي:

– **جيم كالكاف:** وهذه الجيم هي: صوت طبقي (حنكي أمامي) انفجاري مجهور، غير مركب، وفي علم المقارنات السامية تُعّد أصلاً تاريخًيا للجيم الفصيحة، ولا تمثيل خطيًّا لها في الفصحى (گ :G). وتُسَمع كثيًار في لهجة أهل اليمن، ومدينة القاهرة في نطق كلمات
مثل (جيد گيد) وقد أصبحت في لهجات البدو في الأردن تنوًعا نطقًيا لصوت (القاف: Q) المهموسة في الفصحى (قال گال). ولا يقرأ به في القرآن.
– **جيم كالشين:** هذه الجيم هي: صوت غاري (حنكي صلب) صفيري، مجهور، مركب من جيم وشين، وليست في أصل أصوات العرب الفصيحة، ولا تمثيل خطًيا لها في العربية الفصحى (ژ :Z)، وتُسمع اليوم كثيرا في نطق أهل الشام للجيم المغلظة (فَرَج فرژ). ولا يقرأ بها في القرآن.
– **كاف بين الجيم والكاف:** وهي صوت غاري (حنكي صلب)، احتكاكي، مهموس، مركب من جيم وتاء، ولا تمثيل خطًيا لها في الفصحى (چ). وتُسمع كثيًار في أهل العراق وفلسطين، وُعرفت قديًما بالكشكشة المغلظة في تميم وقيس (كْلب چلب) ولا يقرأ بها في القرآن.
– **صاد كالسين:** الصاد صوت لثوي أسناني، مهموس، صفيري، مفخم، وهي ليست في أصل حروف غير العرب، مثل بقية أصوات التفخيم، ومن ثم عند نطقها تضعف فيها صفة التفخيم، وتقترب من سين نصف مفخمة، فتلتبس المعاني بين ما هو بالسين أصلاً، وما هو تنوع في نطق الصاد، بنحوه في (نَصف ونَسَف، وصار وسار)، ومن ثم صار مستقيما عدم التمييز بين نطقَيهما وبخاصة في قراءة القرآن، فلا تصحّ قراءة السراط في اهدنا الصّراط المستقيم] (الفاتحة/6).
– **ضاد كالثاء** (ضاد ضعيفة): الضاد: صوت لثوي أسناني مفخم، انفجاري، مجهور، وكذلك هي ليست في أصل حروف غير العرب، ومن ثّم تقترب في نطق غير العرب من ثاء نصف مفخمة بتقليل صفة التفخيم، وانتقال مخرجها إلى مخرج بين أسناني، بنحوه في نطق (أَضَّر) إلى (أَثَّرَ)، وهي في النطق اللهجي عند العرب اليوم تُنطق دالاً نصف مفخمة، وبخاصة عند البنات، (ضّل دَّل)، أو ظاء مفخمة عند العراقيين بعامة (الضحى الظحى) أو زايًا مفخمة في الألفاظ الأعجمية (ضابط زابط)، وفي لهجات

كلب وقضاعة قديمًا تُنطق ذالاً نصف مفخمة (مضروب مذورب)، وبأية حال تُعّد مستقبحة في قراءة القرآن وفي الشعر عامّة.

– **ظاء كالثاء:** (ظاء مخففة): الظاء صوت بين أسناني، مفخم، مجهور، احتكاكي، وليست هي في أصل حروف غير العرب، ومن ثّم تتحّول إلى ثاء نصف مفخمة (ظالم ثالم)، أو زاي نصف مفخمة (ظالم زالم)، وكذلك يظهر لها تنوعات نطقية بالزاي في نطق أهل الشام، ولا تصح بها قراءة القرآن.

– **باء كالفاء** (فاء مجهورة): الفاء المجهورة ليست في أصل أصوات العرب، ولكنها تسمع من عجم أهل الشرق كثيرا، وهي صوت شفوي أسناني، احتكاكي، مجهور، (ڤ:V)، ولا تُستحسن في قراءة القرآن أو الشعر.

والملاحظ أن الأصوات غير المستحسنة هذه هي في جلّها خاصة بعربية غير العرب في نطقهم لأصوات العربية، وهم أساسا لا يقدرون على نطقها على حاقّ وصفها؛ لأنّها ليست في أصول لغتهم، فيقّربونها إلى نظائر قريبة منها هكذا في أصوات (گ ، ژ ، ڤ)، ومنها ما هو ثقيل نطقه لدى العرب والعجم في (ض، ظ)، فتظهر له تنوعات نطقية أخرى، وهناك صورة الكشكشة (چ) وهو مظهر لهجي محض، لم تقع له مشروعية ولا قبولية في اللغة الفصحى، على الرغم من استمراره حيًّا لليوم، وعلى الرغم من ورود قراءة قرآنية عليه، ونحسب أن غياب التمثيل الكتابي له في ألفبائية الفصحى، وفي الأبجدية السامية الأساسية يعّد سببًا وجيهًا لاستبعاده. على أنه من ناحية صوتية محكوم في ظهوره بالقانون الخاص بالأصوات الحنكية. والذي فيه يتقّدم صوت الكاف من مخرج الطبق إلى مخرج الغار أو الحنك الصلب، فيقارب الشين في نطقه، وُيسَمع (چ). عبد الحميد الأقطش

المطلوب: على ضوء هذا النص اذكر أصواتا في اللهجة الجزائرية غير ممثلة هجائيا.